ومن هم الرسُل عليهم الصلاة والسلام ؟

وما هى الأدلة النقلية والعقلية على ضرورة بعثتهم ؟

الرُّسل : جمع رسول .. وقد اختارهم الله من صفوة عباده ؛ ليكونوا واسطة بينه تعالى وبينهم فى تبليغ أحكامه ، كما فضلهم ـ سبحانه وتعالى على سائر مخلوقاته ، فقوى أرواحهم وعقولهم ، وطهر نفوسهم وقلوبهم ، وخصهم بمزيد الفطنة وقوة الرأى،وعصمهم من المعاصى والدناءات ، وأيدهم بالمعجزات ، ولم يجعل لشواغل الدنيا سلطاناً عليهم .

وقد اصطفى الله رسله من الناس ، وأوحى إليهم بشرعه ، وعهد إليهم بإبلاغه لقطع حجة الناس عليه يوم القيامة .. كما قال تعالى مشيراً إلى هذا فى قوله :﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (١) ، وقال : ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى ﴾ (٢) .

---

(١) النساء : من الآية : ١٦٥ .

(٢) طه : ١٣٤ .

ولهذا ـ كما عرفنا ـ تفضل الله على عباده ، فبعث إليهم رسلاً منهم ليرشدوهم إلى ما فيه سعادتهم فى معاشهم ومعادهم ، ويبينوا لهم ما يحتاجون إليه حتى تقوم بهم الحجة على العباد ، فتنقطع معاذيرهم وتعللاتهم وتبطل حججهم ومستنداتهم ..

هذا بالإضافة إلى حاجة الناس إلى قيادة حكيمة يخضع لها الخاص والعام .. فى حاجة إلى رسالة من قِبَلِ الله تعالى تضع لهم قواعد العدل التى بها يتم نظام العيش السليم فى هذه الحياة الأولى، وتحدد العلائق بين الأفراد والجماعات بحدود الإنصاف .. فى حاجة إلى من يخبرهم من قِبَلِ الله عن الحياة الأخرى وما فيها من ثواب يرغب فى الخير ، وعقاب يرهب من الشر ، حتى تنتظم علاقاتهم على العدل .. محتاجين إلى من يبين لهم عن الله ما كلفهم إياه من العقائد والعبادات ، والآداب والمعاملات ؛ تطهيراً لنفوسهم من دنس الشرك وعبادة الأوثان ، وتهذيباً لأخلاقهم ، ونَشْراً للعدل والسلم بين كافة الناس ..

وهذه القيادة الحكيمة كانت فى الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين أرسلهم الله تعالى بالبينات مبشرين ومنذرين كما

يشير الله سبحانه وتعالى إلى هذا فى قوله : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1] ، وقال :﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[2] وقد أشار صاحب كتاب (منهاج المسلم) إلى أهم الأدلة العقلية على ضرورة إرسال الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فقال :

١ - ربوبيته ورحمته تعالى ، تقتضيان إرسال رسل منه إلى خلقه ليعرفوهم بربهم ويرشدوهم إلى ما فيه كمالهم الإنسانى، وسعادتهم فى الحياتين الأولى والثانية .

٢ - كونه تعالى خلق الخلق لعبادته ، إذ قال عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3] ، فهذا يقتضى اصطفاء الرسل وإرسالهم ليعلموا العباد كيف يعبدونه تعالى ويطيعونه؛ إذ تلك هى المهمة التى خلقهم الله من أجلها .

٣ - إن كون الثواب والعقاب مُرتّبين على آثار الطاعة والمعصية

---

(١) الحديد : من الآية : ٢٥ .

(٢) النحل : من الآية : ٣٦ .

(٣) الذاريات : ٥٦ .

فى النفس بالتطهير والقدسية أمر يقتضى إرسال الرسل ، وبعثة الأنبياء ؛ ولئلا يقول الناس يوم القيامة : إننا يارب لم نعرف وجه طاعتك حتى نطيعك ، ولم نعرف وجه معصيتك حتى نتجنبها ، ولا ظلم اليوم عندك ، فلا تعذبنا ، فتكون لهم الحجة على الله تعالى.. فكانت هذه حالا اقتضت بعثة الرسل ؛ ليقطع الحجة على الخلق ، قال تعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١) ، وقال : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٢) .

* فكان من الضرورى إذن .. بل ومن الطبيعى أن يرسل الله تعالى رسلاً مبشرين ومنذرين ، حتى يخرجوا الناس بنور هدايتهم من الظلمات إلى النور ، ويهدوهم إلى الصراط المستقيم ؛ لأن الإنسان (٣) مدنى بطبعه ، مضطر إلى الاجتماع بغيره ، ولابد له من قوانين تنظم اجتماعه بغيره ، وتكفل سلامته ، والقانون الوضعى أعجز من أن يحقق هذه الغاية أو يدنو منها ؛ لأن العقول

(١) النساء : ١٦٥ .

(٢) الإسراء : من الآية : ١٥ .

(٣) كما جاء فى كتاب (البحوث الدينية ـ التوحيد) دار المعارف .

البشرية التى تضعه قاصرة معرضة للجهل والخطأ والنسيان . وكثيراً مايتأثر وضعها بتغير الأزمنة والبيئات ، فما يصلح لشعب لا يصلح لغيره ، وما يجدى فى عصر لا يُجدى فى سواه .

ولا سبيل لتلافى هذا النقص إلا بقانون من لدن حكيم خبير، سليم من الخطأ ، بعيد عن القصور ، صالح لكل أمة فى كل زمان ومكان ...

من هذا كله تعلم حاجة البشر إلى الرسالات وهدى السماء ، ولا يمكن أن يأتى الله بنفسه إلى الناس ؛ لأن ذلك منافٍ لمقام الربوبية ، وليس من الجائز أن يوحى إلى كل فرد من الأفراد على حدة ، ويصبح كُلٌّ نبيّاً ، أو يخلق الهداية فى كل قلبٍ خَلقا ؛ لأن ذلك مناقض للحكمة فى أن يكون الناس مراتب مختلفة إيماناً وكفراً وطاعة وعصياناً بحسب اختيارهم ، وما يرتضون لأنفسهم من أوضاع . ولايمكن أن يبعث ملكاً للتنافر بين حقيقة الملك وحقيقة الإنسان تنافراً يقع به العذر فى الإعراض والتكذيب ، ولو تمثل المَلَك فى صورة إنسان لفاتت الفائدة من كونه ملكاً ، قال

تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا .. ﴾ (١)

وإذَنْ فلم يبق إلا أن يرسل الله رسولا من البشر إلى كل أمة ، يختاره ، ويصفى روحه ، ويسمو بقواه سمواً يستطيع به أن يكون واسطة بين السماء والأرض ...

نعم لقد اختار الله رسله من صفوة عباده ؛ ليكونوا واسطة بينه تعالى وبين عباده فى تبليغ أحكامه ، وفضلهم على سائر المخلوقات، فقوى أرواحهم وعقولهم ، وطهر نفوسهم وقلوبهم ، وخصهم بمزيد من الفطنة وقوة الرأى ، وعصمهم من المعاصى والدناءات وأيدهم بالمعجزات ، ولم يجعل لشواغل الدنيا سلطاناً عليهم .

* وقد أرسل الله رسلاً كثيرين للهداية والإرشاد ، منهم من كانت رسالته خاصة ومقصورة على بعض البشر وعلى بعض الأزمنة والأمكنة كغالب الرسل ، فكان الواحد منهم يرسل إلى قرية أو قبيلة أو شعب ، ومنهم كانت رسالته عامة كسيدنا محمد ﷺ فإن رسالته عمت الإنس والجن والزمان والمكان فى حال حياته وبعد وفاته إلى يوم القيامة .

---

(١) الأنعام : من الآية : ٩ .

* وحول موضوع :

عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ وختمها للرسالات

يقول فضيلة الشيخ حسين عبد الرحيم مكى [1] ، ما نصُّه :

كان من رحمة الله بجميع الأمم أن بعث إليهم سيدنا محمداً صلوات الله وسلامه عليه لهدايتهم وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم فى الدارين ، بعثه لتطهير القلوب وتهذيب الأخلاق ، ورفع منار العدل بين كافة الناس ، بعثه ليقتلع من النفوس فاسد العقائد ورذيل الأخلاق ، وذميم العادات ، ويغرس فيها صحيح العقائد ، وصالح العادات ، ومكارم الأخلاق ... بعثه بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ... أرسله بدين صالح لكل زمان ومكان ، وجعله خاتماً للنبيين والمرسلين ، وجعل شريعته ناسخة لما قبلها من الشرائع و رسالته عامة لجميع الإنس والجن إلى يوم القيامة ، فيجب على المكلف أن يؤمن بأن محمداً رسول الله وخاتم النبيين والمرسلين ومرسل إلى الإنس والجن أجمعين إلى يوم القيامة .. ثم يقول تحت عنوان :

---

(١) فى مذكرات التوحيد .

الدليل العقلى على رسالة سيدنا محمد ﷺ

أنه ادعى الرسالة ، وأظهر الله على يديه كثيراً من المعجزات ـ التى أعظمها القرآن الكريم ـ تصديقاً لدعواه .. وكل من ادعى الرسالة ، وأيده الله بالمعجزات يكون رسول الله حقا .

أما دعواه الرسالة فمتواترة تواتراً ألحقها بالمشاهدة ، فلا سبيل إلى إنكارها ، وأما ظهور المعجزات على يديه فقد تواتر أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام أتى بخوارق العادات وتحدى بها قومه ، فعجزوا عن معارضتها والإتيان بمثلها .

وقد أشار صاحب كتاب (منهاج المسلم) إلى الأدلة النقلية والعقلية على عموم رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وختمها للرسالات فقال ، تحت عنوان :

الإيمان برسالة محمد ﷺ

يؤمن المسلم بأن النبى الأمى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى العربى المنحدر من صلب إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام هو عبد الله ورسوله أرسله إلى كافة

الناس أحمرهم وأبيضهم ، وختم بنبوته النبوات ، وبرسالته الرسالات، فلا نبى بعده ولارسول ، أيده بالمعجزات ، وفضله على سائر الأنبياء ، كما فضل أمته على سائر الأمم ، فرض محبته وأوجب طاعته ،وألزم متابعته ، وخصه بخصائص لم تكن لأحد سواه ، منها : الوسيلة ، والكوثر ،والحوض ، والمقام المحمود ، وذلك للأدلة النقلية والعقلية الآتية :

١ـ شهادته تعالى وشهادة ملائكته له عليه السلام بالوحى فى قوله تعالى : ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ (١) .

٢ـ إخباره تعالى عن عموم رسالته ، وختم نبوته ، ووجوب طاعته ومحبته ، وكونه خاتم النبيين فى قوله جلت قدرته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ .. ﴾ (٢) . وفى قوله : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ

(١) النساء ، الآية : ١٦٦ .

(٢) النساء ، من الآية : ١٧٠ .

بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ ... ﴾[1]. وفى قوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[2]. وفى قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[3]. وفى قوله تبارك وتعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ ﴾[4]. وفى قوله :﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[5]. وفى قوله : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ .. ﴾[6].وفى قوله : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾[7]. وفى قوله : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[8]. وقوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ

---

(١) المائدة : من الآية : ١٩ .

(٢) الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) الجمعة : ٢ .

(٤) الفتح : من الآية : ٢٩ .

(٥) الفرقان : ١ .

(٦) الأحزاب : من الآية : ٤٠ .

(٧) القمر : ١ .

(٨) الكوثر : ١ .

فَتَرْضَىٰ ﴾[1] . وقوله :﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[2].

وقوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ..﴾[3]. وقوله : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ..﴾[4].وفى قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .. ﴾[5]. وقوله :﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا .. ﴾[6].وقوله : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ.. ﴾[7].

٣-إخباره ﷺ عن نبوته وختم النبوات بها ، وعن وجوب

---

(١) الضحى : ٥ .

(٢) الإسراء : من الآية : ٧٩ .

(٣) النساء : من الآية : ٥٩ .

(٤) التوبة : من الآية : ٢٤ .

(٥) آل عمران : من الآية : ١١٠ .

(٦) البقرة : من الآية : ١٤٣ .

(٧) آل عمران : من الآية : ٣١ .

طاعته وعموم رسالته فى قوله ﷺ « أنا النبى لا كذب . أنا ابن عبد المطلب » [١]. وفى قوله : « إنى عبدالله وخاتم النبيين وإن آدم لمجندل فى طينته » [٢]. وفى قوله : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة واحدة. فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلاَّ وُضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » [٣]. وفى قوله: « والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » [٤]. وقوله : « كلكم يدخل الجنة إلا مَن أبى، قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة ومَن عصانى فقد أبى » [٥]. وفى قوله : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولانبى » [٦].وفى قوله : « فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍ : أعطيت جوامعَ الكلم ،

(١) فى الصحيحين .

(٢) البخارى فى التاريخ ، وأحمد وابن حبان وصححه .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه البخارى .

(٦) رواه أحمد والترمذى وصححه .

ونُصرتُ بالرعب ، وأُحلَّتْ لى الغنائم ، وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأُرْسِلتُ إلى الخلق كافة ، وخُتم بى النبيون»[1] . وفى قوله : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصى أميرى فقد عصانى »[2] . وقوله : « إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى »[3] . وقوله : « إذا كان يوم القيامة كنتُ إمام الأنبياء ، وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ولافخر »[4] . وقوله عليه الصلاة والسلام : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول مَن ينشق عنه القبر يوم القيامة ، وأول شافع وأول مشفع »[5] .

٤ – شهادة التوراة والإنجيل ببعثته ﷺ وبرسالته ونبوته، وتبشير كلٍّ من موسى وعيسى به ﷺ .. قال تعالى فيما حكاه

(١) رواه مسلم والترمذى .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه الدارقطنى وله طرق تجعله حسنا .
(٤) رواه الترمذى وابن ماجه .
(٥) رواه مسلم .

عن عيسى عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[1] . وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾[2].

وجاء فى التوراة : « **سوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوانهم وأجعل كلامى فى فيه** [3]، **ويكلمهم بكل شىء آمر به ، ومن لم يُطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنا أكون المنتقم من ذلك**»

فهذه البشارة الثابتة فى التوراة اليوم تشهد بنبوة نبينا ﷺ ورسالته ووجوب اتباعه ولزوم طاعته ، وهى حجة على اليهود ، وإن تأولوها وجحدوها ، فقوله تعالى : « **سوف أقيم لهم نبيا** » يشهد بلا شك لنبوته ورسالته ﷺ إذْ المخاطب هنا هو موسى عليه السلام وهو

(١) الصف : من الآية : ٦ .

(٢) الأعراف : من الآية : ١٥٧ .

(٣) أى فى فمه .

نبى ورسول ، ومن كان مثله فهو نبى ورسول ، وقوله : « **من بين إخوانهم** » صريح فى أنه محمد ﷺ ، وقوله : « **وأجعل كلامى فى فيه** » لا ينطبق إلا على نبينا محمد ﷺ ؛ لأنه هو الذى يقرأ كلام الله و يحفظه ، وهو القرآن الكريم ، وقوله : « **ويكلمهم بكل شيء** » شاهد كذلك ، إذ النبى تكلم بغيب لم يتكلم به نبى سواه ، إذ أخبر ببعض ما كان وما يكون إلى يوم القيامة .

وجاء فى التوراة كذلك ما نصه : « **يا أيها النبى إنا أرسلناك مبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسُولى ، سميتُك المتوكل ، ليس بفَظٍّ ولا غليظ ولا صخَّاب فى الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لاإله إلا الله ، فيفتح به أعيناً عُمْياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقلوباً غُلفاً** » . وجاء فيها أيضاً : « **هم أغارونى بغير الله ، وأغضبونى بمعبوداتهم الباطلة، وأنا أغيرهم بغير شعب وبشعب جاهل أغضبهم** »

فقوله : « **وبشعب جاهل** » صريح فى أنه الشعب العربى ، إذ هو الشعب الجاهل قبل بعثته ﷺ ، حتى إن اليهود كانوا يسمون

العرب بالأُمّيّينَ ، كما جاء فيها كذلك قوله : « **فلا يزول القضيب من يهوذا ، والمدبر من فخذه حتى يجيء الذى له الكل وإياه تنتظر الأُمم** » فمن ذا الذى انتظرته الأمم سوى نبينا محمد ﷺ ، ولا سيّما اليهود ، فقد كانوا أكثر الناس انتظاراً له ، باعترافاتهم الصريحة ، ولكن الحسد هو الذى حرمهم الإيمان به واتباعه ﷺ. قال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١). كما جاء فى الإنجيل البشارات التالية :

١ – فى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهود قائلاً : « **توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات** » .

فقوله : قد اقترب ملكوت السموات إشارة إلى محمد ﷺ، كما كانت بشارة بقرب بعثته ، إذ هو الذى ملك وحكم بقانون السماء .

٢ – قدم لهم مثلاً آخر قائلاً : « **يشبه ملكوت السموات**

(١) البقرة : من الآية : ٨٩ .

حبة خردل أخذها إنسان وزرعها فى حقله ، وهى أصغر جميع البذور ، ولكن متى نمت فهى أكبر البقول » فهذه العبارة فى الإنجيل هى عين ما ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم ، إذ قال : ﴿ .. وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ .. ﴾ (١) . المراد من ذلك محمد ﷺ وأصحابه .

٣- « **انطلق لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم (البار قليط)**(٢) **فأما إن انطلقت أرسلته إليكم ، فإذا ج اء ذاك يوبخ العالم على خطيئته** » . أليست هذه الجملة من الإنجيل صريحة فى التبشير بمحمد ﷺ ، ومن هو (البار قليط) إن لم يكن محمداً؟ ومن هو الذى وبّخ العالم على خطيئته سواه ؟ إذ هو الذى بُعث والعالم يسبح فى بحور الفساد والشرور ، والوثنية ضاربة أطنابها حتى فى أهل الكتاب . ومن هو الذى جاء بعد رفع عيسى يدعو إلى الله رب السموات والأرض غير محمد ﷺ ؟

---

(١) الفتح : من الآية : ٢٩ .

(٢) ترجمتها من اليونانية إلى العربية : بالذى له حمد كثير ، وهو يوافق معنى (محمد) أو أحمد .

* * وأما عن :

الأدلة العقلية

فقد قال كذلك ، مانصه [1] :

١ - ما المانع من أن يرسل الله محمداً رسولاً ، وقد أرسل قبله مئات المرسلين ونبأ آلاف الأنبياء ؟ .

وإذا كان لا مانع من ذلك عقلاً ولا شرعاً ، فبأى وجه ننكر رسالته ونكفر نبوته ﷺ إلى عموم الناس ؟ .

٢ - الظروف التى اكتنفت بعثته عليه الصلاة والسلام كانت تتطلب رسالة سماوية ، ورسولاً يُجدد للبشرية عهد معرفتها بخالقها عز وجل .

٣ - انتشار الإسلام بسرعة فى أنحاء العالم ، وأقطار شتى فى أنحاء المعمورة ، وقبول الناس له وإيثاره على غيره من الأديان ، دليل على صدق نبوته ﷺ .

٤ - صحة المبادئ التى جاء بها ﷺ وصدقها وصلاحيتها

---

(١) مع بعض الإضافات فى موضوع المعجزات ..

وظهور نتائجها طيبة مباركة تشهد أنها من عند الله ، وأن صاحبها رسول الله ونبيه .

٥- ما ظهر على يديه من المعجزات والخوارق التى يستحيل - أى لا يصدق العقل - صدورها على يد غير نبى ورسول .

وهذا طرف من تلك المعجزات ، كما هى ثابتة فى الحديث الصحيح الأشبه بالمتواتر الذى لا يكذبه إلا ضعيف العقل أوفاقده :

١ - انشقاق القمر له ﷺ ، فقد طلب الوليد بن المغيرة وغيره من كفار قريش آية - معجزة - منه عليه الصلاة والسلام تدل على صدقه فى دعوى النبوة والرسالة ، فانشق له القمر فرقتين : فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ، فقال لهم النبى عليه الصلاة والسلام : اشهدوا، قال بعضهم : رأيت القمر بين فرجتى الجبل - جبل أبى قبيس - وقد سألت قريش أهل بلاد أخرى ، هل شاهدوا انشقاق القمر ؟ فأخبروا به كما رأوه ، ونزل قوله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ... ﴾ (١) .

---

(١) سورة القمر : ١ - ٣ .

٢- أصيبت عين قتادة يوم (أحد) حتى وقعت على وجنته فردها الرسول ﷺ ، فكانت أحسن منها قبل .

٣- رمدت عينا على بن أبى طالب عليه السلام يوم (خيبر) فنفث فيهما رسول الله ﷺ فبرئتا كأن لم يكن شيء أبداً .

٤- انكسرت ساق ابن الحكم يوم (بدر) فنفث عليها ﷺ فبرئ لوقته ولم يحصل له ألم قط .

٥- نُطقُ الشجر له عليه الصلاة والسلام ، فقد دنا منه أعرابى، فقال له : يا أعرابى أين تريد ؟ قال : إلى أهلى . قال : هل لك إلى خير ؟ قال : وماهو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . فقال الأعرابى : من يشهد لك على ما تقول ؟ فقال له ﷺ : هذه الشجرة ـ يُشير إلى شجرة بشاطئ الوادى ـ فأقبلت تَخُدُّ الأرض حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً فشهِدتْ كما قال عليه الصلاة والسلام .

٦- حنين جذع النخلة له ﷺ وبكاؤه بصوت سمعه من فى مسجده ﷺ قاطبة ، وذلك لما فارقه ﷺ بعد ما كان يخطب عليه كمنبر له ، ولما صُنع له المنبر وترك الصعود عليه بكى حنيناً وشوقاً

إليه ﷺ ، فقد سمع له صوت كصوت العشار [1] ولم يسكت حتى جاءه الرسول عليه الصلاة والسلام ، ووضع يده الشريفة عليه فسكت .

٧ـ دعاؤه صلى الله عليه وسلم على كسرى بتمزيق ملكه فتمزق .

٨ـ دعاؤه عليه الصلاة والسلام لابن عباس بالتفقه فى الدين، فكان عبدالله بن عباس حبرَ هذه الأمة .

٩- تكثير الطعام بدعائه ﷺ ، فقد أكل من مُدَّي [2] شعير فقط أكثر من ثمانين رجلاً .

١٠ - تكثير الماء بدعائه ﷺ ، فقد عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله عليه أزكى السلام بين يديه ركوة ماء يتوضأ منها ، وأقبل الناس نحوه ، وقالوا : ليس عندنا إلا مافى ركوتك ، فوضع ﷺ يده فى الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال

(١) العشار : النوق التى مضى على حملها عشرة أشهر.

(٢) المد : حفنة بكفى الرجل المعتدل الكفين ويساوى قدحا وثلث قدح أو قدحين، والمدان نصف صاع .

العيون ، فشرب القوم وتوضئوا ، وكانوا ألفا وخمسمائة نفر .

١١- الإسراء والمعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم إلى السموات العلا .. إلى سدرة المنتهى .. ثم عاد إلى فراشه ولم يبرد.

* وقد ثبت بالقرآن والأحاديث وإجماع المسلمين [١] أن نبينا محمداً أُسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بالشام ، قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ [٢]. وروى أنه كان راكباً البراق ومعه جبريل وميكائيل عليهم السلام .

كما ثبت بالأحاديث وإجماع الجمهور أنه عليه السلام عرج به ليلة الإسراء من بيت المقدس إلى السموات فما فوقها ، وهناك فرضت عليه وعلى أمته الصلوات ، ورجع من ليلته إلى مكة ، وأحاديث الإسراء والمعراج مذكورة فى كتب السنة النبوية الصحيحة.

---

(١) كما جاء فى مذكرات التوحيد للأستاذ حسين عبد الرحيم مكى أكرمه الله ...

(٢) الإسراء ـ من الآية : ١ .

فيجب الإيمان بالإسراء والمعراج ، ومنكر الإسراء كافر لإنكاره أمراً ثبت بالكتاب والسنة والإجماع ، ومنكر المعراج مبتدع لمخالفته الجمهور ولإنكاره أمراً ثبت بالأحاديث المشهورة .

* وأما عن :

المعجزة الخالدة وهى القرآن الكريم

فبيان ذلك : أن القرآن الكريم هو أعظم المعجزات وأشهرها ، وأقوى الأدلة على صدق نبينا محمد ﷺ فى دعوى الرسالة ؛ لأنه عليه السلام تحدى به العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن معارضته والإتيان بمثل شيء منه ، فيكون معجزاً ودالاً على أن محمداً رسول الله حقاً .

أما أن النبى تحدى به العرب فقد تواتر هذا تواتراً لا سبيل إلى إنكاره ، وآى التحدى فى القرآن كثيرة ، وأما أنهم عجزوا عن معارضة القرآن فلأنهم لوقدروا على المعارضة لعارضوا ولوعارضوا لاشتهرت معارضتهم ونقلت إلينا .. لكنها لم تنقل ، فلم يعارضوا وثبت عجزهم .

وقد سلك النبى فى تحدى العرب بالقرآن طريق التدلى ، فطلب منهم أن يأتوا بمثل القرآن فعجزوا ، فطلب منهم أن يأتوا بمثل عشر سور منه فعجزوا ، فطلب منهم أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه فعجزوا ورجعوا خائبين .

أليس فى ظهور القرآن على لسان أُمىٍّ أعظم معجزة وأدل برهان على أنه ليس من قول البشر ، وإنما هو وضع إلٰهى وروحى سماوى والمبعوث به نبى .

ثم يقول بعد ذلك فى مذكرات التوحيد [1] تحت عنوان :

بيان أن القرآن معجزة خالدة

القرآن الكريم معجزة خالدة ، ولا يمكن لمخلوق فى كل زمان ومكان أن يأتى بمثل شىء منه ، فهو دائم الإعجاز لجميع المخلوقات، يدل على هذا أمران :

(**الأول**) أن القرآن نزل فى عصر اتفقت الرواة وتواترت الأخبار على أنه أرقى العصور عند العرب وأغزرها مادة فى الفصاحة

---

(١) بتصرف .

والبلاغة ، وقد حاول العرب أن يأتوا بمثل شيء منه فعجزوا ، وإذا عجز العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة كان غيرهم أشد عجزاً .

(والثانى) قوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (١) . فإنه يدل على عجز جميع المخلوقات عن معارضة القرآن .

كما يقول تحت عنوان :

بيان جهة إعجاز القرآن

الجهات التى من أجلها كان القرآن معجزاً كثيرة :

منها : أنه اشتمل على الفصاحة والبلاغة ، ووصل فيهما إلى الحد الخارج عن طوق البشر ، وإلى الدرجة العليا التى لم تعهد فى تراكيب العرب وتقاصرت عنها درجات بلاغتهم . حتى إنهم كانوا يطربون لسماعه .

ومنها : أنه أخبر بمغيبات ماضية ومستقبلة ، وفيه من أخبار

---

(١) الإسراء : ٨٨

الغيب ما صدقته حوادث الكون .

ومنها : أنه شرع للناس أحكاماً تنطبق على مصالحهم ، فقد ظهرت الفائدة فى العمل بها والمحافظة عليها ، وقام بها العدل وانتظم بها شمل الجماعة ، وعظمت المضرة فى إهمالها والانحراف عنها ، وفيه من الحكم والمواعظ والآداب ما تخشع له القلوب وتنصرف وراءه الهمم .

* * ولهذا ، (فنحن نبغى القرآن) ؛ لأنه كما يقول الشاعر الهراوى تحت هذا العنوان الأسبق [1] :

إن هذا القرآن يهدى إلى الرشـ

ـد ويدعـو لصـالح الإنسـان

نحن نبغى القرآن علماً وفَهماً

يخلقـان الكمال فى الشـبان

نحن نبغى القرآن لفظاً ومعنًى

فَهْوَ صَقْلُ الحِجَا وصَقْلُ اللسان

---

(١) كما قرأت فى كتاب (مع الله) لفضيلة الشيخ محمد الغزالى .

نحــن نبــغى القــرآن دينًــا ودنيا

يتجــلَّى فى هــديه الحُسْنَيَــانِ

نحن نبغى القرآن فى معهد الدر

س وفى كل مــنزل ومــكان

* ولأنه كما يقول شاعر آخر فى وصف بلاغته :

الذكــر آيــة ربك الكبــرى التى

فيهــا لبــاغى المعــجزات فنــاء

صَــدرُ البيان له إذا التقــت اللُّغَى

وتقــــدم البلغــاء والفصــحــاءُ

نُسِــخَت به التــوراة وَهْىَ وضيئة

وتخــلف الإنجــيل وَهْــوَ ذُكَاءُ

لما تَمــشَّى فى الحجــاز حَــكيمُه

قَضَّــتْ عــكاظ به وقام حِراءُ

* * وإذا كان أحد الشعراء الحكماء يقول :

شـهد الأنام بفضـله حـتى العدا

والفضل ما شهدت به الأعداء

فإننى أرى أن أسوق إليك ـ أخا الإسلام ـ بعض أقوال غير المسلمين الذين شهدوا بعظمة هذا القرآن الذى سيظل معجزاً للجن والإنس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها :

فلقد قال العلامة [1](**دروى**) وزير معارف فرنسا سابقاً :

(بينما أهل أوربًا تائهون فى بيداء الجهالة لا يرون الضوء إلا من سَمِّ الْخِيَاط ، إذ سطع نور قوى من جانب الأمة الإسلامية من علوم وأدب ، وفلسفة وصناعات ، وأعمال يد ، وغير ذلك حيث كانت مدينة بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وتونس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة معارف ، ومنها انتشر فى الأمم ، واغتنم منها أهل أوربا فى القرون الوسطى مكتشفات وصناعات وفنون علمية ، وأقاموا أساس ممالكهم على شرائع الإسلام) .

---

(١) كما قرأت فى كتاب (التربية فى كتاب الله) لفضيلة الشيخ محمود عبد الوهاب فايد .

وقال المؤرخ الإنجليزى الشهير (**ولزآن**) : « إن الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية أنّى سارت هى الديانة الإسلامية ، وإذا أراد إنسان أن يعرف شيئًا من هذا فليقرأ القرآن ومافيه من نظريات علمية ، وقوانين وأنظمة لربط المجتمع ، فهو كتاب علمى دينى ، عملى اجتماعى ، تهذيبى خلقى تاريخى ، وأكثر أنظمته وقوانينه تستعمل حتى فى وقتنا الحالى ، وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة » .

وذكر الفيلسوف (**تولستوى**) الروسى فى كتابه : (حكم النبى محمد) :

« ولما وَحَّدَ النبى محمد قبائل العرب ، وأنار أفكارهم وأبصارهم بمعرفة الإلٰه الواحد ، هذب أخلاقهم ولين طباعهم وقلوبهم ، وأصلح عاداتهم البربرية الهمجية ، وجعلهم أمة مستعدة للرقى والتقدم » .

ولهذا قال عربى أصيل غيور بعد أن قرأ هذا وغيره من تلك الحقائق الواضحة وضوح الشمس فى وضح النهار :

يابــن العروبة ســر فأنت الأسبق

بطريق مجــدك فالنجاح محقــق

هــذا هــو القرآن نبراس الهدى

دستورك الأسمى المنيــر المشــرق

آياتــه نبــع العلــوم جــميعهــا

من قال : لا ، فهو الغبى الأخرق

عِلْم الطبيعة والحياة وحكمة الـ

إيجـــاد مــن تبيــانــه تتــدفـــق

وســياســة الدنيــا بأقــوم شرعة

بيــن الــورى بســواه لا تَتَحقَّــقُ

فــيه القضــاء لحــل كل قضــية

عن حلها أهل السياســة أخفقوا

عــودوا إلى القرآن عودة باحث

ترك الهــوى والعقــل حــر مطلق

وخـذوا دساتير الحياة جميعها

مـن آيه وعـلى الخليقـة أشفقوا

فهـو الدواء لكل أدواء الورى

وهو الطبيب لكل سقم ، صَدِّقُوا

فالغـرب لما سـار سـار بنوره

وعلا وقبل الغـرب سار المشرق

يا قوم أحمد مجدكم قرآنكم

فهـو الكتاب العـالمى الأصـدق

* * هذا ، وإذا كان موضوعنا فى هذا الكتاب حول : إرسال الرسل والواجب والمستحيل والجائز فى حقهم : فإننى أرى كذلك إتماما للفائدة أن أذكر أساسًا لابد منه ، وهو :

مذاهب العلماء فى حكم إرسال الرسل

فللعلماء فى حكم إرسال الرسل أربعة مذاهب : [1]

---

(١) كما جاء فى (تهذيب شرح الخريدة – فى علم التوحيد) . بتصرف يسير .

١ – مذهب الفلاسفة : فقد ذهبوا إلى القول بوجوب إرسال الرسل ؛ لأنهم يرون أن الله علة فى وجود العالم ، والعالم علة فى وجود من يصلحه وهم الرسل .

٢ – مذهب المعتزلة : فقد ذهبوا إلى القول بوجوب إرسال الرسل ؛ لأنهم يرون وجوب الصلاح عليه تعالى والأصلح فى حق عباده أن يرسل إليهم الرسل لينبهوهم على ما ينجيهم من المهالك وما يوقعهم فيها .

٣ – مذهب السمنية والبراهمة : ذهب الفريقان إلى القول باستحالة إرسال الرسل ؛ لأنه عبث لكون العقل كافياً عنه ، فالعقل فى نظرهم يستقل بإدراك ما فى الأشياء من حسن وقبح .

٤ – مذهب أهل السنة : فقد ذهبوا إلى القول بجواز إرسال الرسل ؛ لأنه فِعْلٌ من أفعال الله تعالى ، وجميع أفعاله تعالى صادرة منه عن اختيار ، قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾[1] .والمختار هو مذهب أهل السنة ؛ لأنه الحق وما عداه باطل .

---

(١) القصص – من الآية : ٦٨ .

وقد رد أهل السنة على القائلين بالوجوب (وهم الفلاسفة والمعتزلة) : بأنه يلزم على مذهبهما سلب الاختيار عن الله تعالى .. كيف وقد ثبت عقلاً ونقلاً أنه الفاعل المختار ؟!

وردُّوا على القائلين بالاستحالة بأن العقل إذا خلا ونفسه قد يغفل عن أكثر الأحوال المناسبة له فى معاشه ، فكيف بدقائق الشرائع والسمعيات التى لا تتلقى إلا من الصادقين وهم الرسل .

وإلى مذهب أهل السنة والرد على المخالفين أشار صاحب الخريدة بقوله :

إرسالهم تفضل ورحمهْ للعالمين جَلَّ مُولى النعمهْ

فمعنى البيت : أن إرسال الرسل تفضل وإحسان من الله تعالى ورحمة منه للعالمين ، وليس بواجب عليه ولا بمستحيل (جلَّ مولى النعمة) أى عظم معطى النعمة التى من أجلّها إرسال الرسل إلينا ، فله الحمد والمنة .

* * هذا ، مع ملاحظة : أنه لا يجوز حصر الرسل والأنبياء فى عدد ؛ لأن بيان عددهم لا يُعْلَمُ إلا من الشرع ، ولم يرد فى

بيان عددهم دليل قاطع من كتاب أو سنة ،ولأن حصرهم فى عدد قد يؤدى إلى أن يُعتبر فيهم من ليس منهم فى الواقع أو يخرج عنهم من هو منهم فى الواقع ، ولقوله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[1] .

حكم الإيمان بالرسل والأنبياء

الإيمان بالرسل والأنبياء ركن من أركان الإيمان ، ومَن أخل به يكفر ، لقوله تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ .. ﴾[2] . وقوله عليه السلام : « **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله** »[3] .

فيجب الإيمان إجمالاً بأن الله بعث رسلاً وأنبياء كثيرين للهداية والإرشاد مع تفويض علم عددهم إلى الله ، ويجب الإيمان

(١) غافر ـ من الآية : ٧٨ .
(٢) البقرة ـ من الآية : ٢٨٥ .
(٣) بعض حديث صحيح .

تفصيلاً بمن ذكروا فى القرآن الكريم تفصيلاً ، وهم خمسة وعشرون نبيا ورسولا : سيدنا محمد ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى، ونوح ، وآدم ، وإدريس ، وهود ، وشعيب ،وصالح ، وذوالكفل ، وإسحاق ، ويعقوب ، وداود ، وسليمان ، وأيوب ، ويوسف ، وهارون ، وزكريا ، ويحيى ، وإلياس ، وإسماعيل ، واليسع ، ويونس ، ولوط عليهم السلام ، فمنكر بعضهم كافر .

وأولو العزم من الرسل خمسة : سيدنا محمد ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ونوح ، عليهم السلام .

والعزم : أى الصبر وتحمل المشاق .. وقد اشتهر هؤلاء الخمسة بأولى العزم لأنهم صبروا على أذى قومهم ، وتحملوا المشاق أكثر من غيرهم من بقية الرسل عليهم الصلاة والسلام .

* وقد قال أحدهم نظماً جمع فيه جميع الأنبياء والمرسلين المذكورين فى القرآن الكريم فقال :

حتماً على كل ذى التكليف معرفة

بأنبياء علـى التفصيل قد عُلموا

فى تـلك حجـتنـــا منهـــم ثمانيـــة

من بعد عشر ، ويبقى سبعة وهمو

إدريس ، هود ، شعيبٌ ، صالح ، وكذا

ذو الكفل ، آدم ، بالمختار قد خُتِموا

ويعنى بقوله : (فى تلك حجتنا) قول الله تبارك وتعالى فى سورة الأنعام آيات (٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦) :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

* * وأفضل الخلق بعد نبينا (محمد ﷺ) [1] : سيدنا إبراهيم ، ثم سيدنا موسى ثم سيدنا عيسى ، ثم سيدنا نوح ، ثم آدم

---

(١) كما جاء فى الجزء الأول من الدين الخالص .

أبو البشر ، ثم باقى الرسل على تفاضل بينهم ، ثم سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم رؤساء الملائكة : كجبريل وميكائيل وإسرافيل ، ثم رؤساء الأمة المحمدية : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على . ثم باقى العشرة – أى المبشرين بالجنة [1] وهم طلحة ، والزبير ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح ، عليهم جميعا رضوان الله ـ ثم أهل بدر ، ثم أهل أُحُد ، ثم أهل بيعة الرضوان ، ثم عامة الملائكة ...

ثم يشير بعد ذلك ، إلى :

المعجزات التى أيد الله بها كل رسول من رسله

فقال [2] : وقد أيد الله تعالى كل رسول منهم بمعجزات خارقة للعادة ـ وهى بمثابة تصديق من الله تعالى لمن أظهر الله المعجزة على يديه ، وكأنه يقول صدق عبدى فى كل ما يبلغه

---

(١) أى بالإضافة إلى الخلفاء الراشدين الأربعة .

(٢) بتصرف وإضافات موضوعية .

عنى ؛ إذ من المحال أن يؤيد الله تعالى الكاذب ؛ فإن تأييد الكاذب تصديق له وتصديق الكاذب كذب ، والكذب على الله محال ـ :

* ومن المعجزات : ناقة سيدنا صالح ، ففى الحديث : «يبعث الله ناقة صالح فيشرب من لبنها هو ومن آمن به من قومه ، ولى حوض كما بين عدن إلى عمان ، أَكْوَابُهُ عدد نجوم السماء ، فيستسقى الأنبياء ، ويبعث الله صالحاً على ناقة . قيل يا رسول الله: وأنت على العضباء ؟ قال : أنا أُبعث على البراق يخصنى الله به من بين الأنبياء ، وفاطمة ابنتى على العضباء ، ويؤتى بلال بناقة من نوق الجنة فيركبها ، وينادى بالأذان ، فيصدقه من سمعه من المؤمنين حتى يوافى المحشر ، ويؤتى بلال بحلتين من حلل الجنة ، فَيُكْسَاهما ، فأول من يُكْسَى من المؤذنين بلال وصالحو المؤمنين » . أخرجه أبونعيم فى الحلية ، وابن عساكر عن عبدالله بن بريدة عن أبيه .

* ونار سيدنا إبراهيم : التى ألقوه فيها بعد أن مكثوا مدة يجمعون الحطب من هنا وهناك .. وقد جعلوا ذلك قرباناً لآلهتهم ، وبِرًّا بمعبوداتهم ، حتى إن المرأة منهم كانت إذا مرضت نذرت : إذا

عوفيت لتجمعن حطباً لحريق إبراهيم ... وبعد أن تراكمت أعواد الحطب وضاق المكان بأكوامه .. ابتنوا حظيرة واسعة ، وأشعلوا النار فيها .. فلما اندلع لسانها ، وعلا لهيبها ، واحمر جمرها ـ قيدوه ، ورموا به فيها ، وهم له كارهون ، ولعذابه مُغتبطون ! فنجاه الله تعالى من النار التى كانت برداً وسلاماً عليه !

قال ابن عباس رضى الله عنهما : حسبى الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم حين ألقى فى النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : « إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ » (١) .

وعن على فى قوله تعالى ﴿ يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا ﴾(٢) . قال : لولا أنه قال : (وسلاماً) لقتله بردها .

وعن ابن عباس موقوفًا : « آخر ما تكلم به إبراهيم حين ألقى فى النار : حسبى الله ونعم الوكيل . »

* وعصا سيدنا موسى ، ويده البيضاء ، وفلق البحر ، وتفجير الماء من الحجر: فقد أوحى الله إليه ـ بعد أن قال له قومه : ﴿ إِنَّا

(١) أخرجه البخارى . والآية فى سورة آل عمران : ١٧٣

(٢) الأنبياء ـ من الآية : ٦٩ .

لَمُدْرَكُونَ ﴾ فقال : ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ (١) .

وأيضاً يقول الله تعالى مشيراً إلى معجزة العصا : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (٤) .

* وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لسيدنا عيسى :

---

(١) الشعراء : ٦٢ ـ ٦٦ .

(٢) البقرة ـ من الآية : ٦٠ .

(٣) الأعراف : ١٠٧ و ١٠٨ .

(٤) الأعراف ١١٧ .

قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١) .

* وانشقاق القمر لسيدنا محمد ، ونبع الماء من يده الشريفة ، وتكثير القليل من الطعام والشراب ، وتكليم الجمادات له صلوات الله وسلامه عليه :

قال تعالى : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ (٢) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاه العصر . فالتمس الناس الوَضُوء (٣) فلم يجدوه ، فأُتِيَ ﷺ بوضوء فوضع يده فيه وأمر الناس أن يتوضئوا ، فرأيت الماء

---

(١) آل عمران : الآيتان ٤٨ و ٤٩ .

(٢) سورة القمر : ١ .

(٣) الوضوء بفتح الواو : أى الماء الذى يُتَوضأ به ...

ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس عن آخرهم »

أخرجه الشيخان .

* وعن زياد بن نُعيْم الحضرمى قال :

« سمعت زياد بن الحارث الصُّدَائى قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبايعته على الإسلام » (الحديث)

وفيه : « فلما كان أوان أذان الصبح أمرنى فأذنت . ثم قال : هل من ماء يا أخا صُداء ؟ فقلت : لا إلاشيء قليل لايكفيك . فقال النبى ﷺ : اجعله فى إناء ثم ائتنى به ، ففعلت ، فوضع كفه فى الماء . فرأيت بين كل إصبعين من أصابعه عينا تفور . فقال ﷺ : ناد فى أصحابى من له حاجه فى الماء ، فناديت فيهم، فأخذ من أراد منهم . ثم قال الصُّدائى : قلنا : يانبى الله ، إن لنابئراً إذا كان الشتاء وَسِعنا ماؤه واجتمعنا . وإذا كان الصيف قل ماؤها وتفرقنا على مياه حَولنا ، وقد أسلمنا وكل من حولنا عدوٌّ لنا ، فادع الله لنا فى بئرنا أن يسعنا ماؤها فنجتمع عليها، لا نتفرق ، فدعا بسبع حصيات ففركهن فى يده ودعا فيهن ، ثم قال : اذهبوا

بهذه الحصيات ، فإذا أتيتم البئر فألقوها واحدة واحدة ، واذكروا اسم الله تعالى . قال الصُّدائى : ففعلنا ما قال لنا، فما استطعنا بعد أن ننظر إلى قعرها . يعنى البئر . »

أخرجه المزى فى الأطراف .

* وعن جابر رضى الله عنه قال :

« عطش الناس يوم الحديبية فأتوا رسول الله ﷺ وبين يديه ركوة [1] ، وقالوا : ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب إلا ما فى ركوتك ، فوضع صلى الله عليه وآله وسلم يده فى الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأ مثال العيون ، فتوضأنا وشربنا . قيل لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . »

أخرجه الشيخان .

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« كنا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مسير فنفدت

---

(١) الركوة بفتح فسكون : ما يعد للماء .

أزواد القوم حتى هموا بنحر حمائلهم . فقال عمر رضى الله عنه : يارسول الله لوجمعت ما بقى من أزواد القوم فدعوت الله عليها ، ففعل . فجاء ذو البُر بِبُرِّه ، [1] وذو التمر بتمره ، وذو النواة بنواته ، قيل : ماكانوا يصنعون بالنوى ؟ قال : كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء . فدعا عليها حتى ملأ القوم مزاودهم [2] ، فقال : « أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، لايلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة » . أخرجه مسلم .

* وعن جابر رضى الله عنه قال :

« كنا فى حفر الخندق ، فرأيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمصاً [3] شديداً ، فانكفأت [4] إلى امرأتى فقلت : هل عندك شيء ؟ فإنى رأيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمصاً شديداً ، فأخرجت إلىَّ جرابا فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة [5] داجنٌ فذبحتها وطحنت الشعير ، فَفَرَغَتْ إلى فراغى

---

(١) البُرُّ (بضم الباء) : القمح .

(٢) جمع مزود بكسر فسكون : ما يجعل فيه الزاد .

(٣) الخمص بضم فسكون أو بفتحتين أو بفتح فسكون : الجوع .

(٤) أى رجعت إلى امرأتى واسمها (سهيلة) .

(٥) بهيمة : تصغير بهمة وهى ولد الضأن ذكراً كان أو أنثى .والداجن الشاة التى تألف البيت وتتربى فيه .

وقطعتها فى بُرْمَتها [1] . ثم ولّيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقالت : لاتفضحنى [2] برسول الله صلى عليه وآله وسلم وبمن معه . فجئته فساررته فقلت : يارسول الله ذبحنا بُهَيْمَة لنا وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا . فتعال أنت ونَفَرٌ معك ، فصاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : « ياأهل الخندق ، إن جابراً قد صنع سوراً [3] ، فحيَّهَلاً [4] بكم » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُنْزِلنَّ بُرْمَتَكم ولاتَخْبِزُنَّ عجينكم حتى أجيء فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدم الناس حتى جئتُ امرأتى فقالت : بك وبك [5] . فقلت : قد فعلت الذى قلت .. فأخرجتُ له العجين فبصقَ فيه وبارك . ثم عَمَدَ إلى بُرْمَتنَا وبصقَ فيها وبارك . ثم قال : ادعى خابزة فلتخبز معك ، واقْدَحِى من بُرْمَتكم ولا تُنْزِلوها ، فأقسم بالله لأكلوا حتى

---

(١) البرمة بضم الباء : أى القدر .

(٢) تعنى تحذيره من أن يأتى بمن لا يكفيهم الطعام القليل الذى عندها .

(٣) السور بالضم غير مهموز كلمة فارسية : معناها الوليمة والطعام الذى يدعى إليه .

(٤) وحيهلا بكم : أى تعالوا وعجلوا .

(٥) أى فعل الله بك كذا وكذا .. وهذا كناية عن الكلام الذى عاتبت به زوجها ، حيث خالف قولها : لا تفضحنى برسول الله .

تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط [1] كما هى ، وإن عجيننا ليخبز كما هو . »

أخرجه الشيخان .

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« أتيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم بتَمرات فقلت : يارسول الله ، ادع الله بالبركة ، فَضَمَّهُنَّ ، ثم دعا لى فيهِنَّ بالبركة . فقال : خذهنَّ واجعلهن فى مزْوَدك هذا ، وكلما أردت أن تأخذ منه شيئا فأدخل فيه يدك فَخُذْ ، ولاتنثره نثراً ففعلت، فقد حملتُ منه كذا وكذا من وسق [2] فى سبيل الله، فكنا نأكل منه ونُطْعم ، وكان لايفارق حَقْوى [3] حتى كان يوم قُتِل عثمان رضى الله عنه فإنه انقطع . فسقط فحزنتُ عليه »

أخرجه الترمذى وقال : حديث غريب .

* وعن على رضى الله عنه قال :

« كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ،

---

(١) غطت القدر : أى غلت .

(٢) الوسق : ستون صاعاً بصاع النبى صلى الله عليه وسلم

(٣) الحقو بفتح فسكون : موضع شد الإزار وهو الخاصرة . ثم سمى به الإزار .

فخرجنا فى بعض نواحيها ، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول : السلام عليك يارسول الله » .

أخرجه الدارمى والترمذى ، وقال : حسن غريب ، لكنه روى من عدة طرق .

* وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن بمكة حجَراً كان يسلم علىَّ ليالى بُعِثْتُ ، إنى لأعرفه الآن »

أخرجه أحمد ومسلم والترمذى ، وقال : حسن غريب .

وله صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة غير ماذكر ، أهمها وأفضلها القرآن : فإنه المعجزة المستمرة إلى قرب القيامة [1] ....

* ورحم الله الأستاذ الصاوى على شعلان ،

فلقد قال متحدثًا عن بعض معجزات هذا النبى العظيم صلوات الله وسلامه عليه :

صلاة الله فى أبهى سلام

على قمر الهدى بدر التمام

---

(١) وقد ركزنا على هذا الموضوع قبل هذا ...

وأصحـاب لـه غُـرٌّ كِـــرام
هَـدَوْا بضيـــاء سنتـه الأنامـاَ

* * *

نـبى اللـــه أشـرق مـن حراء
فرَوَّى الأرض من فيض السماء
صـــلاة فى ســـلامٍ فى ثنـــاء
لمن أهـدى إلى الدنيا الســلاماَ

* * *

نـبى حـاز فضـــل المـرسلـين
كما يستجمع الروض الغصون
بـه اكتمـلت مزايا السـابقـين
كمـا يسـتكمل العقد النظـاماَ

* * *

بآياته دعـا فى الفـلك نـــوح
وإبراهـــيم أسـلم والذبيـحُ

ومـوسى عـــنه أنبأ والمسيـــح
فـكان لهـــم وللدنيـــا إماماَ

* * *

به يعقـوب قدعـرف الضياء
وأيـوب بـه وجـد الشـفاء
تقـدم فى عُـــلاه الأنبـــــياء
وكان لهـــم بمبعثـه خـتاماَ

* * *

جـرت يمنـاه بالمـاء النميـر
إلى الظمآن فى لفح الهجير
تظللـه الغمامـة فى المسيـــر
وكوثـر بِـرِّهِ يسقى الغماماَ

* * *

إليه الجزع حنَّ لدى الفراق
فكيف إذن حنينى واشتياقى

سَري ليلاً إلى السبــع الطبــاق

وقبــل النَّيِّرَات مَحا الظلامَا

* * كما أسـأله سبحـانه وتعـالى أن يرحم إمام أهل السنة (الشيخ محمود خطاب السبكى) . الذى قـال كذلك فى كتابه (المقامات العلية) متحدثاً ومعبراً عن حبيبه رسول الله ﷺ .. ومشيراً فى نفس الوقت إلى بعض معجزاته صلوات الله وسلامه عليه :

نــبيٌّ رأت لَمــاً تولَّــد أُمُّــه

معـالم بُصْـرَى مَعْلَمـاً ثـم معـلماَ

نــبى لــه غاصـَت بُحـيرة سَـاوةٍ

وضَاءتْ قصورُ الشام واهتزت السماَ

نــبى لــه قـد شُـقَّ إيـوانُ فـارسٍ

وأُخْـمِدَ مـن نيرانــه مـاتضــَرماَ

نـبى أتـتــه للرضــاع حــليمةٌ

فما صَـدَّ عـنها ، بـل أبـرَّ وأنعماَ

نـبى قـضى بالعدل حالَ رَضَاعه

فـلم يرضـع الأَّ ماله الأخ أسهما

نـبى بـه قـد شَـرَّف اللـه طيبة [1]

كمـا شـرف البيت العتيق المعظما

نبى له قد صارت الأرض مسجداً

طهـوراً إذا مـا المـاءُ عـزَّ تيمَّـمَا

نـبى عـلا فـوق البُـراقِ إلى العُلا

إلى أن تَـدلَّى غـيره وتقـدماَ

نـبى رقى السبـع الطـباقَ مجاوزاً

إلى مشهـدٍ فيـه رأى وتكلَّـمَا

نـبى دُعِى أنـت الحـبيب فَسَلْ تَنَلْ

وقل يُستمع واشـفع تُشَفع مكرَّما

نـبى له البـارى زَوى الأرض كُلَّهـا

ليعـلم أن المـلك يبلـغ كُلَّـمَا

---

(١) طيبة : أى المدينة المنورة .

نـبى أعـاد الشمس بعد غروبها

وأبـقى عـليها بالجـلالة مَيسَـمَا

نبى دعا النخَل العظام فأسرعت

إليه تشـقُّ الأرض شَـقًا مُـقَوَّمَا

نبى له بدر السمـا انشـق طائعاً

وحـنَّ إليـه الجـذع شوقاً وكَلَّمَا

نـبى أتـت طوعاً لنصـرته الصَّبَا

فآوى مُنيباً حـيث عـاقب مُجرمَا

نـبى يـؤم الرُّعْـبُ رايات جيشه

مسـيرة شـهر حـيث سار مُيَمما

نـبى به عـاذ البعـير من الردى

فأنقـذه ممـا شَـكَا وتظـلَّمَا

نـبى أرادت زينـب كتـم سُمِّـه

وكيف ونطق الشاة بالسُّمِّ أعلَمَا

نـبى لفـرط الصـوم شـَدَّ فؤاده
بصَـلْدٍ ولـو شـاء الطعام لأطعِماَ
نـبى إذا مـا غـضَّ جَـفنا لنومه
تيقـظ قـلب ليـس ينفـك مُلْهَمَا
نـبى حـمى الإسـلام من كَلِماته
بأنفـذ مـن وقـع السهام وأحكما
نـبى أحـلَّ اللـه مكـة ساعـة
له ، وحَمـاها عن سـواه وحَـرَّمَا
نـبى دعـا الأصـنام فانْهَلن وُقَّعاً
لأوجُهِها صَـرعى وقـدكُنَّ جُثَّماَ
نـبى أناب الجـنُّ طوعـًا له وقد
أبان لهم قـولاً صـحيحاً مُحكما
نـبى هُدى فى كفِّه سَبَّحَ الحصاَ
وأورق فـيها العـود وانفجرت بماَ
نبى هُدَى أعطى قتادة فى الدجىَ
شظيـةَ عرجون أضاءت لـه كَماَ

نـبى هُـدًى لولاه لـم يخـلُق الـورى

ولا العرش والكرسى والأرضُ والسما

نـبى هـُدًى لو لم يكن أفضل الورى

لَمـــاَ أمَّ فى أرض ولا أمَّ فى ســـما

هــو الأول الهادى هــو الآخــر الذى

تأخـــر إرســالاً ، وخَـلقاً تقـــدمَا

هــو الظاهــر البادى هو الباطن الذى

أبــان لنــا مــا كَان عـــنَّا مُـــكتَّما

هو المقصـــدُ الأسْنَى الأغرُّ فلا تَحـد

ويَمَّمْـهُ تلـقَ الخـير نحـوك يَمَّـمَا

وأنىَّ لمـــن لـم يتخـــذه وسيلـــةً

رَشـادٌ ولارُ شـدٌ لمـن صـَدَّهُ العمى

أحـاط الـورى عـدلاً وعَـمَّهُمُ رِضًـا

فألف بين الذئب والشـاة فى حِمَى

* * وإتماماً للفائدة ، وحتى لا يتسرب الشك إلى قلبك

فى إمكانية هذه المعجزات ، وجوازها عقلاً .. إليك ما تحت هذا العنوان الآتى[1] :

المعجزة ممكنة عقلاً وواقعة فعلاً

لأنها ليست من نوع المستحيل ..

أما أنها ممكنة عقلاً : فلأن العقول السَّليمة لاتجد مانعاً من أن الله تعالى ـ وهو القادر المختار ـ يُظهر على أيدى رسله خوارق العادات ، تصديقاً لهم ـ وكون المعجزة مخالفة للسير الطبيعى المعروف لنا فى إيجاد الله الأشياء لاينافى إمكانها ؛ فإن مخالفة السير المألوف مما لم يقم دليل على استحالته .. بل ذلك مما يشاهد وقوعه، كما فى حال المريض يمتنع عن الأكل مدة طويلة لو لم يأكل فيها وهو صحيح لمات ، مع وجود العلة التى تزيد الضعف وتساعد الجوع على الهلاك .

وأما أن المعجزة واقعة فعلاً : فلأنه نقل إلينا متواتراً أن الله تعالى أيد رسله بخوارق العادات ، وفى القرآن وكُتب الحديث كثير من ذلك .

---

(١) كما جاء فى تهذيب شرح الخريدة .. بتصرف .

ثم يقول تحت عنوان :

وجه دلالة المعجزة على صدق النبى

اتفق الجمهور على أن المعجزة من البراهين الدالة على صدق النبى فى دعواه النُّبوة ؛ لأنها لما كانت أمراً يعجز عنه جميع الخلق. لم تكن إلا أثراً من آثار قدرة الله ، وما أظهرها الله على يد مدعى النبوة على وفق مراده إلا تصديقاً له فى دعواه ، وكأن الله يقول : **صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى** ، ولو كان مدعى النبوة كاذباً ما أيده الله بها ؛ لأن تأييد الكاذب كذب ، والكذب على الله تعالى محال ، قال تعالى :

﴿ .. وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ .. ﴾[1] .

* * **فالمعجزة إذن** : هى أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى النُّبوَّة على وفق مراده ، تصديقاً له فى دعواه ، مع عجز سائر المخلوقات عن الإتيان بمثله .. وهذا الأمر : يشمل الفعل والترك ، كعدم إحراق النار لإبراهيم ـ كما يقول فى شرح الخريدة ـ ثم يقول موضحاً معنى قوله : (**خارق للعادة**) أنه احتراز عن

(١) الأحزاب ـ من الآية : ٢٢ .

السحر والشعوذة وغرائب المخترعات ، فليست خارقة للعادة ، بل معتادة ، وتعرف بالتعليم ، غير أن قواعدها لغرابتها يجهلها كثير من الناس .

ومعنى أنها تظهر على يد مدعى النبوة .. أن ما عداها، كالإرهاص ، والكرامة ، والمعونة ، والاستدراج : ليست بمعجزات ، وإن كانت خارقه للعادة لعدم ظهورها على يد نبى :

إذ الإرهاص : خارق يظهره الله قبيل بعثة نبى ، تأسيساً للنبوة، وتمهيداً لها ، كانشقاق إيوان كسرى عند ولادة نبينا عليه السلام ، وخُمود نَارِ فارس ، وتظليل الغمام له .

والكرامة : خارق يُظهره الله على يد ظاهر الصلاح غير مدعى النبوة ؛ إكراماً له .

والمعونة : خارق يُظهره الله على يد مستور الحال غير مدعى النبوة ؛ تخليصاً له من شدة مثلاً .

والاستدراج : خارق يُظهره الله على يد فاسق يدعى الألوهية على وفق مطلوبه ؛ خديعة له .

ومعنى قوله فى تعريف المعجزة : (على وفق مراده تصديقاً له) : احتراز من الإهانة : فإنها خارقٌ يُظهره الله على يد مدعى النبوة كَذِبًا على خلاف مراده ؛ تكذيباً له ، كما حصل لمسليمة الكذاب ، فإنه تفل فى بئر لِيَعْذُبَ ماؤها ، فصار مِلْحًا أُجَاجاً ، وتفل فى عين أعور لتبرأ ، فعميت العين السليمة .

* وأحب أن أذكر الأخ القارئ كذلك ، بأن المعجزة [1] :

إما قولية : كإخبار عيسى عليه السلام قومه بما يأكلون ومايدخرون فى بيوتهم .

أوفعلية وجودية : منحت فيها المادة خواص لم تكن لها : كانقلاب العَصا حَيَة ، وانبجاس الماء من الحجر .

أو فعلية سلبية : سلبت فيها المادة بعض خواصها ، كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم .

كما تنقسم إلى حسية : تدرك بالحواس

كالمن والسلوى ، ونزول المائدة من السماء .

---

(١) كما جاء (فى البحوث الدنيية ـ التوحيد) بتصرف.

وعقلية : تخاطب العقل ، وتعتمد على الفكر ، كمعجزة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

وتنقسم كذلك إلى : دائمة : كالقرآن الكريم ، .. وغير دائمة : كمعجزات سائر الرسل .

* * كما أحب كذلك أن أُضيف إلى ما وقفت عليه .. بعض القراءات التى وقفتُ عليها [1] حول :

الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر

وإذا كنا قد عرفنا عن المعجزة ما فيه الكفاية

* * فإن الكرامة بالإضافة إلى ما عرفته عنها قبل ذلك كذلك : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبده الصالح ، غير مقترن بالتحدى ، ولابِدَعْوَى الرسالة ، كولادة مريم لعيسى من غير أب ، وإمداد الله لها بما اشتهت من الرزق من غير سعى .. قال تعالى :

---

(١) فى البحوث الدينية .. بتصرف .